

## الاستشراق بين دعائه ومعارضيه

محمد أركون، مكسيم رودنسون، برنارد لويس، كلود كاهن  
(ترجمة: هاشم صالح). بيروت: دار الساقي، ١٩٩٤.

يشكل الاستشراق جزءاً لا يتجزأ من الحضارة الغربية وتشكيلتها المعرفية. والكلام على الاستشراق يقودنا إلى مشكلة العلاقة بين المعرفة والسلطة: فهل هناك معرفة مستقلة عن السلطة، وهل أن الحقيقة لا يمكن أن توجد بصورة بريئة ومنزهة عن علاقات القوة؟ إن الإجابة عن هذين السؤالين تندرج في إطار سوسيولوجيا المعرفة. ودراسة الاستشراق الأوروبي والأميركي واحدة من المكونات الرئيسية لسوسيولوجيا المعرفة.

صحيح أن الاستشراق واكب الاستعمار الأوروبي الحديث، لكن من التعسف إدانة التشكيك كعلم مستقل، والأخطر من الإدانة التشكيك في المعرفة نفسها من خلال التشكيك في إمكان وجود المعرفة مستقلة عن السلطة.

لقد واجه الاستشراق، دوماً، اتهامات متواترة. وأقدم اتهام هو الذي يزعم أن المستشرق كان دائماً إما المستكشف الريادي الذي يسبق الاستعمار ويمهد له الطريق، وإما المستشار التقني للسياسي الأوروبي وللتاجر الأوروبي وللعسكري الأوروبي. والهجوم على الاستشراق شائع جداً في الأوساط العربية، وتطغى على نقاده لغة الاحتجاج والاتهام والتشكيك، وهذا منطقي في السياق التاريخي لنشوء ظاهرة الاستشراق قبل أن تتحول إلى علم، لأن العرب هم المغلوبون على أمرهم لا الغالبون، في حين كان الخطاب الاستشراقي يمتاز بلغة هادئة ومرتنة، وأحياناً متعجرفة، ذلك لأن لغة الاستشراق كانت واثقة من علمها وخبرتها؛ فالغرب هو الغالب، ليس اقتصادياً وسياسياً فحسب بل منهجياً ومعرفياً أيضاً.

كتاب "الاستشراق بين دعائه ومعارضيه" عبارة عن مجموعة من النصوص كتبها، في مناسبات متفرقة، مستشرقون معروفون رداً على دراسة لأنور عبد الملك نشرها سنة ١٩٦٣ بعنوان: "الاستشراق في أزمة" (أنظر الترجمة العربية في مجلة "الفكر العربي"، العدد ٣١، بيروت، ١٩٨٣)، وكذلك رداً على البروفسور إدوارد سعيد في كتابه "الاستشراق" الذي صدر بالإنكليزية سنة ١٩٧٨ (أنظر الترجمة العربية بعنوان: "الاستشراق: المعرفة والسلطة، الإنشاء"، بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية، ١٩٨١). ومن

الجدريير بالذكر أن أول من رد على إدوارد سعيد لم يكن مستشرقاً أوروبياً أو أميركياً بل أستاذاً جامعياً عربياً هو الدكتور صادق جلال العظم (أنظر: "الاستشراق والاستشراق معكوساً"، بيروت: دار الحداثة، ١٩٨١).

والكتاب يقدم للمستشرقين الفرصة للدفاع عن أنفسهم، وللرد على مهاجمي الاستشراق ومنتقديه. ويقدم في الآن نفسه، الفرصة للقارئ العربي للاطلاع على مثل هذا السجال المميز وهذه المحاجة الفكرية الثاقبة. ولا بد من التنويه بالجهد الكبير الذي بذله هاشم صالح في جمع مادة الكتاب ثم ترجمتها وضبطها هوامشها ووضع حواشيها. وحسب القارئ العربي، بعد هذا الجهد، أن بين يديه آراء مختلفة ومتعارضة وسجالية، الأمر الذي يتيح له هامشاً أوسع للنظر والمقابلة وتكوين الرأي من غير وصاية أو وساطة.

مجلة الدراسات الفلسطينية، جميع حقوق النشر وإعادة التوزيع محفوظة لمجلة الدراسات الفلسطينية، ولا يمكن نشرها أو توزيعها إلكترونياً إلا بإذن من رئيس تحرير المجلة وذلك عبر الكتابة إلى العنوان البريدي التالي: [majallat@palestine-studies.org](mailto:majallat@palestine-studies.org)  
يمكن تحميل هذه المقالة أو طبعها للاستخدام الفردي وعند الاستخدام يرجى ذكر المصدر:  
<http://www.palestine-studies.org/ar/mdf>